# الفصل الأول

**تمهيد**
**دور الداعية في المجتمع**
**آثار التصور القاصر لدور الداعية**
**بعض ملامح وضوابط دور الداعية في المجتمع**
**بعض مواصفات الخطبة المثالية**
**بعض المحاذير في الخطبة**

# تمهيد

ربما يُتوقع أن يبدأ هذا الكتاب -الذي قصدت فيه أن أساهم في معالجة أمر الدعوة حاليا- كأول إنتاج لي في هذا المجال بمعالجة ما يخص الداعية من ناحية شخصيته، مثل: فضل الدعوة والداعية، آداب الداعية، ثقافة الداعية، وغير هذا..

لكني آثرت أن أتجاوز هذا المحور، على أهميته المعلومة؛ لأن هدفي في هذا الكتاب هو تقويم إنتاج الداعية، وتقويم خطابه، والمساعدة على تطوير لغة الخطاب الديني بما يناسب متطلبات الواقع والحياة؛ حيث يوجد بالفعل آلاف الدعاة العارفين لفضل الدعوة والداعية والمحيطين علما وسلوكا بآداب الداعية..

كما أنه قد سبقني كثيرون من أهل الفضل والعلم والدعوة في الكتابة حول الدعوة والداعية وآدابهما، ففيه الغنى لمن أراد الإحاطة بهذا الجانب[1]..

وأرى أن جانب "الخطاب الموجه للجماهير" هو أولى بالعناية والرعاية آنيا، فالفقد فيه أعظم، والآثار المترتبة على تواضعه أكبر وأكثر ظهورا على الساحة الآن، **فكم من داعية لا يستطيع أحد عيب سلوكه ولا حتى المتربصون به من أهل الضلال لكنهم يجدون في منتجه ولغة خطابه كثيرا من المطاعن** التي ينفذون منها إلى الإسلام نفسه..

كذلك فالخطاب الموجه للجماهير (المنتج) هو جانب لا يقل أهمية في القيمة عن الجوانب الشخصية للداعية، فالشخصية والمنتج كلاهما جناح طائر للدعوة والداعية..

ثم إننا لو فرضنا تبعية المنتج للداعي نفسه فإنني أراه كالحرارة والحمى مع المرض، فأول ما يشغل بال الطبيب أن يعالج الحرارة والحمى ثم ينظر لأصل الداء، ومع أن الحمى عرض وليست حقيقة المرض لكن خطرها قاتل في الحال والتوّ، لذا كانت الحكمة -والحال هذه- تقتضي تقديم مقاومة العرض القاتل والتخفيف من حدته قبل الإقبال على أصل المرض، أو على الأقل بموازاته..

---

1 - من ذلك كتب: فن الخطابة وإعداد الخطيب للشيخ علي محفوظ ، أصول الدعوة للدكتور عبدالكريم زيدان، إعداد الخطيب للدكتور طلعت عفيفي ، فن الخطابة لديل كارنيجي، عشرات المقالات والأبحاث المنشورة على الإنترنت .

وربما خف يوما ما ضغط الحاجة لمثل هذا التعاطي والتحاور مع إخواني الدعاة فتتاح لي الفرصة أن أدلي بدلوي في المجال الشخصي للداعية.

## دور الداعية في المجتمع

دور الداعية باختصار **هو السعي لإصلاح الدنيا بالدين، وإقناع جماهير الناس بأحقية الإسلام في حياتهم، كل حياتهم**..

وإن كان من المسلمات أن "مهمة المسلم الأولى في الحياة وغايته فيها هي عبادة الله وحده، يجاهد نفسه حتى يحملها على الطاعة ويبعدها عن المعصية، ومهمته الثانية أن يجاهد بقلمه ولسانه وماله ويده من أجل أن تعلو كلمة الله ويستنير البشر بنور الإسلام، ولا مجال للتخلي عن هذه المهمة العظيمة[1]".

فأولى المسلمين أن يقوم بهذا الدور هم الدعاة، الذين اصطفاهم الله تعالى لهداية الخلق ودلالتهم على الحق..

***

**ويتميز دور الداعية في المجتمع بأنه شمولي:** يشمل حياته كلها فهو في كل لحظة داعية وليس ساعة الوعظ والخطبة فقط، ولقد "كان من الأخلاق التي عرفت عن الصحابة، وكانت من أسباب عون الله وتأييده ونصره لهم: وقف حياتهم على الدعوة إلى الله تبارك وتعالى[2]".

وكما تشمل الدعوة الحياة فإنها تشمل كل وسيلة متاحة "فيدعو بالكتابة والخطابة والحديث العادي، والعمل الجدّي في سيرته الخاصة والعامة، وبكل ما يستطيع من وسائل، فهو كاتب وخطيب ومحدث قوي، يؤثر في الناس بعمله وشخصه، يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله[3]".

- **وهو دور محوري:** يمثل رمانة الميزان في الحياة كلها، لا أستثني منها جانبا، وذلك نابع من شمولية الإسلام الذي نحمله وندعو الناس للالتزام به.. فالداعية يتماسّ مع الجوانب العملية السلوكية والجوانب الوجدانية للناس، فيسأله الناس في أمور دينهم ومعاملاتهم،

1 – أصول الدعوة – د.عبدالكريم زيدان، ص 318 بتصرف

2 – من أخلاق النصر – مجموعة مقالات للشيخ سيد نوح

3 – تذكرة الدعاة – البهي الخولي، ص 5

ويستشيرونه في أحوالهم الخاصة، ويبثون إليه شكواهم ووجدانهم.. لا فرق في هذا بين فئات المجتمع وطبقاته، فالجميع يرجع إليه بلا استثناء..

**ووجود داعية ثقة متميز يمثل محور ارتكاز لجميع طبقات وفئات المجتمع:** فيلجأ إليه الغني والفقير، العامي وأستاذ الجامعة، المهنيون بجميع أصنافهم، الأطباء والمهندسون، الرجل والمرأة، الكبير والصغير.. لكل منهم حاجته ومطلبه، كلهم يثقون في رأيه ويطمئنون إلى إخلاصه النصيحةَ، لأنهم يثقون في تقديره الأمورَ، إضافة إلى كونهم يرونه أدرى بالحلال والحرام منهم..

ولا ريب، فالداعية المتميز الفاقه لواقع الحياة من حوله يستطيع تفهم حاجات الجميع على اختلاف أصنافهم، فيتواصل مع كل منهم بالطريقة التي تليق به، ويجيب عن تساؤلات كل منهم بما يناسب حاله..

**وإنه لمن الضروري أن يكون دور الداعية واضحا لديه:** فيعي جيدا محورية دوره في المجتمع، فإنْ تصوَّر هذا الدور تصورا صحيحا كاملا انطلق منه انطلاقا صحيحا لما يمس حياة الناس على اختلاف مشاربهم وثقافاتهم، فيجتهد لنفعهم في معاشهم ودنياهم، ويسعى لما يصلح دينهم وأخراهم..

كما سيراعي -وهو يتخير الموضوعات وطرق المعالجة والتناول- الواقعية، فلا ينصب اهتمامه فقط في وعظه وتوجيهه على الموضوع أكاديميا مجردا بعيدا عن واقع والحياة.

***

## آثار التصور القاصر لدور الداعية

أما **التصور القاصر الناقص لدور الداعية** فإنه لا محالة يؤدي إلى انزوائه في ناحية واحدة من الحياة لا يتعداها، فتقل خبرته يوما بعد يوم، ويزداد بُعدُ الناس عنه يوما بعد يوم، ويفقد من جمهوره بقدر تفريطه في شمولية دوره..

هذا التصور القاصر لدور الداعية، وهذا الانزواء، وهذا الفقد للجمهور، له آثاره السلبية العميقة على المجتمع وعلى الداعية نفسِه..

أما المجتمع فيفقد المستشارين المؤتمنين الثقات، فيسمع الناس لكل ناعق متفيهق، ويلجؤون لثقافات الغرب والشرق لما يرون من اتساع الفجوة بين الداعية وبين حياتهم، وربما تطور الأمر ليتهموا الدينَ نفسه بالبعد عن الحياة والواقع والمنطق، وتلك والله بذرة العلمانية في المجتمع، وكلما طال الزمن بهذا الوضع القاصر تغذت الأفكار السلبية في عقول الناس وترعرعت فكرة فصل الدين عن الحياة..

وأما الداعية نفسه فيشعر بالجفاء بينه وبين المجتمع ويفقد الثقة في نفسه كداعية مصلح للدنيا بالدين حين يرى الناسَ معرضة عنه وعن استشارته إلى غيره ممن لا يحفظ للدين حرمة ولا للمجتمع ذمة، وربما تطور الأمر في نفسه فيتهم المجتمع بالتخلي عن الدين والانحلال منه؛ ما يزرع في قلبه بذرة العداوة للمجتمع، وبدل أن يكون طبيبا معالجا يصبر على مرضاه ويسعى لشفائهم يتحول إلى عدو متربص ناقم على كل شيء حوله، وربما تطور الأمر لأكثر من ذلك، نسأل الله العفو والعافية..

***

## وهذه بعض ملامح وضوابط دور الداعية في المجتمع:

### 1- مجتهد محتسب[1]:

والاحتساب ضمين الاجتهاد، فمن دون احتساب يضيع الجهد سدى، فلا ثمرة في الدنيا ولا جزاء في الآخرة..

1 – الاحتساب معناه الصبر على المشقة بقصد نيل الأجر والمثوبة عند الله تعالى يوم القيامة.

ولْيعلم الداعية أن الناس مفطورة على حب الصالحين، لكنها أيضا مجبولة على عداء المصلحين، فالصالح ينفعهم ولا يضرهم، أما المصلح فيصطدم بأهوائهم ومصالحهم -فيما يعتقدون- حين يدعوهم لترك الأثرة وتقديم الصالح العام لكل البشرية..

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبه قومه قبل البعثة لأنه الصادق الأمين، وعادوه بعد البعثة حين دعاهم إلى التزام الصدق والأمانة..

لذلك ينبغي للداعية ألا يتوقع نجاح دعوته بنسبة مائة في المائة، فربما لا يجني من دعوته الثمرة المرجوة، وربما لاقى من أهل الشرور ومن أهل الأهواء ما يصده عن سبيل دعوته ويكسر شوكة عزيمته ويطفئ في نفسه جذوة الإصلاح..

غير أنه -إن شاء الله- لن يعدم خيرا من إقبال المخلصين عليه، ولن يعدم انصلاحا من أناس ترددوا كثيرا في الأوبة إلى الله فما هي إلا كلمات يسيرة صادقة فينساقون طائعين إلى طريق الهداية..

فلتوطن نفسك أخي الداعية على تحمل المشاق، والصبر على لأواء الدعوة مما ستلاقي من المجتمع، واعلم أن الثمرات هي من عند الله، فما عليك إلا السعي والحرث والله يهدي من يشاء ويشرح صدر من يشاء لما يشاء..

"إنني حين أبذل جهدي ثم لا أرى الثمرة المرتقبة, فحسابي لنفسي لا يصحبه ندم أو خزي, وقد يجري على لساني قول القائل: صح منى العزم والدهر أبى.. وحسبي ذلك تأساء وتعزية.. والأمر على العكس تماما عندما أفرط فأجنى الخسار, وعندما أسيء البذر والحرث فأجد الحصاد الرديء فلا مكان هنا لاعتذار, ولا تقبل المكابرة من مكابر[1] ".

**2- قوي في الحق:**

الداعية يبين وجه الحق في كل مسألة مجتمعية عامة أو خاصة لا يخاف في الله لومة لائم، لكن دون تجريح أو تلميح بازدراءٍ لأحد، ناهيك عن اتخاذ موقف معادٍ أو أن يَلدَّ في خصومة..

1 - هموم داعية – الشيخ محمد الغزالي، ص 2 .

**3- واع غير ساذج:**

يأبى أن ينجر لخصومة شخصية مع أي أحد، ولا يكون أبدا طرفا في إشعال فتنة مهما حاول المغرضون استدراجه..

**4- مدرك للواقع:**

يهتم بالأحداث حوله لا ينعزل عن واقع الناس، وفي الوقت ذاته لا ينسى مهمته الأصلية وهي تعبيد الناس لله وتحبيب الله إليهم.. وتذكرته بالجنة والنار منثورة في حديثه عن الأوضاع السائدة في مجتمعه ليربط الناس وجدانيا وسلوكيا بالدار الآخرة..

إن الداعية حين ينعزل فكريا عن واقع الحياة فهو يظلم الإسلام، ويهبط بمنهاجه في الإصلاح إلى مستوى متدن في نفوس الناس، والدين من هذا براء..

والداعية يصير صاحب عقل كليل حين "لا يدري قليلا ولا كثيرا عن دساتير الحكم وأساليب الشورى وتداول المال وتظالم الطبقات, ومشكلات الشباب ومتاعب الأسرة، ولا يدري قليلا ولا كثيرا عن تطويع الحياة المدنية وأطوار العمران لخدمة المثل الرفيعة والأهداف الكبرى التي جاء بها الإسلام[1] ".

**5- واسع الصدر:**

هين حليم لين الجانب، قدوته الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان يسمع للجميع ويسعى في حاجات الناس ولا يمل من طلباتهم ولا من سؤالهم، وهو ملاذ الضعفاء ومرجع المختصمين، فهذه امرأة تشكو زوجها وتلك تسأل عن أمر دينها، وذا رجل يطلب عطاء وهذا يطلب فتوى وذلك ينتظر المشورة، وآخر يحتاج للفضفضة وتفريغ الهموم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستوعب الجميع دون كلل أو ملل.. شعاره دائما ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ** ﴾ آل عمران: ١٥٩.

1 – هموم داعية ، بتصرف، ص 20 .

"والداعي المحروم من الرحمة الغليظ القلب الضيق الصدر لا ينجح في عمله ولا يقبل الناس عليه وإن كان ما يقوله حقا وصدقا، هذه هي طبيعة الناس ينفرون من الغليظ الخشن القاسي ولا يقبلون قوله[1] ".

**6- حمول للأذى:**

يخالط الناس ويشاركهم كل ما استطاع من نشاطات الحياة وهو يعلم أن المسلم الذي "يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير ممن لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم[2] "، وهو صبور على أمراض مجتمعه لا يعاديه ولا ييأس من صلاحه..

"فالداعية طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، وهو ناقد بصير، تشيع المحبة في قلبه، وتتدفق الرحمة في عينيه، وتجري المواساة على لسانه ويديه، وهذا ضروري جدا للداعية، وهو من مواهب الروح والجنان، لا من صفات البلاغة وملكات اللسان[3] ".

**7- إيجابي:**

يشارك الناس فعليا أعمالَ الخير والبر بحسب ما يستطيع، فيساهم بنفسه أو بماله أو بالدعوة والترويج وحث المستطيعين، لا يترك بابا للخير إلا وسعى فيه.. فيشارك في مجالات النشاطات المختلفة: اجتماعية، أعمال خيرية، تعليمية، صحية، رياضية، ولا مانع إطلاقا إن كان لديه مؤهلات تأسيس وقيادة الجمعيات والأعمال المجتمعية أن يخوض هذا المجال مشركا معه شباب المجتمع يدربهم ويعلمهم ويتيح لهم قدوة صالحة يأخذون منها أمر الدين ومهارات الدنيا معا..

وليعلم الداعية أن "مخالطة الناس واجبة عليه، لأن ما لا يؤدى الواجب إلا به فهو واجب، والواقع أن طبيعة الإسلام وطبيعة الدعوة إلى الله تقتضي المخالطة، فالدعوة هي عمل المسلم خارج نفسه، وهذا لا يستقيم إلا بالمخالطة[4] ".

---

1 – أصول الدعوة، بتصرف، ص 345 .

2 – رواه أحمد وابن ماجه، وأخرجه الطبراني والبيهقي وغيرهم، عن ابن عمر، وصححه الألباني .

3 – تذكرة الدعاة، ص 6 .

4 – أصول الدعوة، بتصرف، ص 352 .

**8- مثقف:**

يدرك أساسيات العلوم المختلفة، ولديه قدرة على فهم الأمور بمنطق علمي مناسب سديد، ليسهل عليه التواصل مع جميع طبقات المجتمع.. وفي الوقت نفسه يحترم التخصص، ولا يفتئت على أهل العلوم المختلفة من المتخصصين، بل يجعلهم عدة له وذخرا وتأييدا..

ناهيك أن يكون متمكنا في مجاله –قدر ما وسعته طاقته– فيكون على علم جيد بمسائل الفقه، وأصول التفسير، وعلوم الحديث، ملما بأحداث السيرة النبوية، متمكنا من أدوات اللغة العربية، مجتهدا في كل ما يفيد دعوته ويطبعها بطابع الأصالة والعراقة..

ذلك لاشك يورث الداعية ثقة جماهيرية عميقة، ما يؤثر بالإيجاب على دعوته، ويجعل قيادته لإصلاح المجتمع أكثر يسرا وأعمق أثرا..

**9- سريع البديهة حسن الملحظ:**

ينبغي للداعية أن يكون ملاحظا جيدا، حاضر الذهن سريع البديهة، تحسبا لأي ظرف طارئ..

تصور أخي الداعية أنك جهزت موضوعا عن الموت والتذكير بيوم القيامة مثلا، ثم تفاجأت حين وصولك المسجد أن هناك عقد زواج بعد الصلاة مباشرة داخل المسجد، أو العكس بأن كان موضوعك عن الزواج وآدابه ثم تفاجأت بجنازة سيصلى عليها بعد أداء الجمعة.. فكيف تتصرف؟!

إن الداعية لو تحجر في مثل هذا الموقف فألقى خطبته كما حضرها متجاهلا الحدث اللحظي بالمسجد فلا يخفى عليك أثر ذلك نفسيا على جمهور المصلين خاصة أصحاب المناسبة..

وقد يلجأ الداعية للتغافل لا لأنه لم يلحظ ولكن لقلة الحيلة، فهو لا يستطيع تغيير الموضوع ببساطة، ولا يستطيع الارتجال في موضوع آخر يناسب المقام..

لذلك أخي الداعية عليك دائما –إن لم تكن تحسن الارتجال– أن تجهز موضوعا يتسم بالعمومية شيئا ما، بحيث تستطيع تطويعه تحت أي عنوان طارئ لظروف الموقف، فيمكنك مثلا أن تحضر خطبة عمومية عن "التقوى" تكون احتياطية معك..

وتستطيع أن تنطلق من هذه الخطبة ثم تكون إسقاطاتك على الاستعداد للآخرة إن كان في المسجد جنازة، أو تكون إسقاطاتك على حسن العشرة والمعاملة إن كان في المسجد عرسا.. ذلك ينجيك من تهمة الجمود أو تهمة الغفلة عن الواقع.

**10- متواضع:**

الكبر خُلق لا ينبغي لمسلم ناهيك عن الداعية، "فالتكبر حماقة وجهل ودليل قاطع على جهل المتكبر بربه وبحقيقة نفسه، فلو عرف ربه وحقيقة نفسه لما تكبر[1]".

وربما لا يبلغ الاعتزاز في نفس الداعية درجة المتكبرين، لكن يظهر من بعض سلوكه الخاطئ ما لا يقصده، ويحمله الناس على غير محمله..

لذلك فعلى الداعية دائما أن يتجنب المبالغة في إظهار الثقة بنفسه وبعلمه، فـ"ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله[2]".

فقد ترى خطيبا يبدأ حديثه بقوله: "أحدثكم اليوم حديثا لم تسمعوه من قبل"، أو يقول: "خذ مني هذه المعلومة فلن تجدها في مكان آخر"...الخ..

وهذا لا شك يخلق نفورا في نفوس المستمعين إذ يرونك وأنت تعد نفسك في عداد الأفذاذ وهو ما لا يليق بداعية متواضع لله..

بل دع الناس يعدونك في الأفذاذ، أما أنت فيحملك تواضعك ألا تقر لهم بهذا، صادقا غير مراء ولا متجمل، فترجع الفضل لله سبحانه وحده، فلولاه ما اهتديت ولا علمت ولا وفقت أن تصل لقلوب الناس..

**11- حبيب القلوب:**

يهتم بكسب القلوب لا المناصب والمال والجاه، فقلوب الخلق هي ماله وثروته، وهي عدته لإصلاح الدنيا وإقامة الدين، وهي ذخره عند الله، وهي الأثر الباقي له بعد انقضاء حياته، وانجذابها إليه وإعلان محبتها إياه أمارة من أمارات القبول عند الله تعالى[3]..

---

1 – أصول الدعوة، بتصرف، ص 346 .

2 – جزء من حديث أخرجه مسلم وغيره عن أبي هريرة .

3 – في الحديث "إن الله إذا أحب عبدا نادى جبريل...الخ" والحديث متفق عليه عن أبي هريرة .

**لكن**، عليه أن يحذر من ترضية الجماهير على حساب قناعته بالحق، فلا يركب موجة مجتمعية لا يراها حقا يستميل بهذا الناس إليه.. نعم هو يحرص على القلوب لكنه على الحق أحرص، ورضا الناس مجتمعين غاية لا تدرك، لكن السعي إليها بالحق لا يترك..

**12- عفيف غنيّ النفس:**

يحب الخير للناس ويزهد في دنياهم فلا طمع ولا تطلع ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ طه: ١٣١ ، فهم يحتاجون إلى علمه ورأيه وصدره الواسع وهو غني عن دنياهم، وقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعظ رجلا، فقال" "ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبُّكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ[1]".

**13- نموذج سلوكي للقدوة الحسنة:**

يسعى أن يكون متوازنا ناجحا في حياته الشخصية، مهتما بتنمية ذاته، محافظا على سلوكيات دينه والتزامه، ليقدم قدوة صحيحة للمجتمع في كيفية الالتزام بالدين الحق، فيسعى لتمثل حياة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، فقد "كان رسول الله أشجع الناس"، و"كان رسول الله أجود الناس" وكان "يكون في مهنة أهله"، يحيا حياة بسيطة ويحب المساكين، ليس متسلطا ولا ديكتاتوريا، يقبل النصيحة، ويعتمد الحوار في الإقناع[2].

**14- متميز رغم قربه:**

يحافظ على هويته الدينية ولا يتساهل في شأن الشبهات، ناهيك عن الحرام، ولا يتنازل عن تدينه والتزامه بحجة الانفتاح على الناس، مع المحافظة على ود العلاقة وحسن التعامل مع الجميع حتى غير المسلمين..

---

1 – أخرجه الحاكم في المستدرك عن سهل بن سعد رضي الله عنه، وقال: هذا حديث صحِيح الإسناد ولم يخرجاه .

2 – من ذلك قصة الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا، والقصة أخرجها أحمد وصححها الألباني .

يخالط الناس، لكنه لا ينغمس في شهوات الدنيا وملذاتها، ولا يتوسع في مباحاتها، "فالنفس إذا تركت وشأنها زاد تعلقها والتصاقها بالدنيا حتى تصبح هي كل غايتها ومنتهى أملها ومبلغ علمها، وإذا ما وصلت النفس لهذا الحد فقدت حاسة القبول والاعتبار فلا يجدي معها وعظ ولا تذكير، وصاحب هذه النفس بالبداهة لا يصلح أن يكون داعيا إلى الله[1]".

**15- محايد مجتمعي:**

الداعية الصادق الفاقه لا يتحزب ولا ينتصر لفئة من المجتمع على فئة بالهوى والميل، خطبته وموعظته تجريد للحق ودعوة الصدق، وبيان لصحيح الدين، وهداية للحائرين..

هو مرجع لكل المسلمين، فينبغي أن يكون قبلة لهم أجمعين، يؤمه العامي والمتخصص، اللماح حسن الفهم وعريض الوساد، يحتكم إليه أهل الأفكار التي قد تبدو متباينة فيجمعهم على كلمة سواء، ويستوعب الجميع بلا استثناء..

**والداعية لا يميل لموالاة الحكام وأولى الأمر بالحق والباطل، كما لا يتخذ موقفا معاديا مسبقا منهم، فهم عنده والناس سواء**، ما هم إلا فئة من فئات المجتمع يعظهم ويذكرهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، لا يخاف في الله أذى ولا لومة لائم، ولا يجامل أحدا على حساب دينه وآخرته..

1 – أصول الدعوة، بتصرف، ص 319 .

## بعض مواصفات الخطبة المثالية

**1- محددة الهدف:**

يجب أن يكون هدف الخطبة أو الدرس واضحا ومتجليا للداعي، ولا ينبغي أبدا أن يقْدِم الداعية على موعظته دون هدف واضح يسعى إليه، وإلا فليعتذر عن عدم إلقائها فذلك أولى له وأحسن أثرا من إلقائها، لأن العظة في هذه الحالة ستكون عبارات هلامية ليس لها ملامح، لا فكرة فيها ولا قيمة لها، وسيدرك المستمعون بلاشك مدى تشوش الداعية في عرضه مما يؤدي –ربما– إلى فقده جزءا من ثقة الجمهور في كفاءته وكفاءة ما يحمله من فكرة..

وذلك يعين الداعية على ما ينبغي له من "التأثير النفساني، والهيمنة الروحية، واستعانة العقل بما حصّل من تجارب التاريخ وأحوال الناس[1]".

**أما الناس فيستحسن التلطف إلى عقولهم وقلوبهم بحيث لا يشعرون منك بمحاولة السيطرة عليهم**، بل أنت تستحث عقولهم ليستنتجوا الهدف الذي تريد كمسَلّمة عقلية أو شرعية، فينقادون لقناعتهم لا لعقلك أنت، أو هكذا يبدو الأمر.. **خاصة في الأمور الروحية والفكرية والسلوكية**، بخلاف الأمور الشعائرية التعبدية..

**واعلم أن الهدف الحقيقي هو خلق قناعة في نفوس سامعيك بالهدف المضمر في نفسك قبل الخطبة، لا مجرد العرض وتفريغ المعلومات، واحذر أن تصل بسوء عرضك لخلق قناعات مضادة للهدف الذي قصدتَ.**

**2- موحدة الموضوع:**

وحدة الموضوع نتاج طبيعي لتحديد الهدف، وإنه لمِمّا يضيع الجهود سدى ويذهب بالوعظ أدراج الرياح أن يحار المستمع في تحديد ما تريد منه في موعظتك، واعلم أنك لم تنجح إذا لم يستطع المتلقي تحديد عنوان لكلمتك أو خطبتك.. وقد جرب بعضنا كثيرا الجلوس لخطباء ربما كانوا موهوبين في طريقة إلقائهم وكانت روحهم حاضرة وإخلاصهم فيما يقولون

1 – تذكرة الدعاة، ص 5 .

باديا، لكنك لا تستطيع أن تفهم شيئا محددا لكثرة ما يروح ويجيء ويخرج من معنى لآخر ومن موضوع لغيره دونما ترابط أو منطقية في كلامه هذا، ثم يسأل بعضكم بعضا بعد الصلاة: "هو كان بيقول إيه، أو هو عايز يقول إيه"..

فلا يكن همك أيها الداعية أن تحشو خطبتك "بأي كلام وخلاص" "واللي ييجي على بالك قوله" إلا أن يكون كلامك في صلب ما تريده من الأهداف ويخدمه خدمة حقيقية وتستطيع إقناع جماهير المستمعين بالعلاقة بين كلامك وعنوان خطبتك، ولو على مستوى الوجدان إن لم تصرح بعنوانك، فربما لا يهتدي المستمع –خاصة إن كان متواضع الثقافة– إلى تحديدٍ صريح لعنوان خطبتك، ولكنه في الوقت نفسه لا يشعر بالتنافر أو بعدم الترابط فيما تقول..

**والداعية المتمكن هو من يستطيع جمع الأطراف التي ربما لا يرى الكثير علاقة بينها ثم ينظِمها في عُقد ثمين مترابط بخيط دقيق من الفكرة، ويريك إياها من ملمح وزاوية تقتنع معها بطبيعية العلاقة دون تكلف أو عناء**، وتلك مرحلة يدركها الممارسون القدامى لكثرة ما خبُروا، وذلك هو الإبداع..

**3- بعيدة عن العموميات:**

وبديهي ونحن نتحدث عن وحدة الموضوع أن يكون هناك موضوع أصلا.. ولا أقصد هنا النهي عن تعدد الموضوعات في الخطبة والروْحِ والمجيء بينها حتى يتوه المستمع، لا، فذلك أمر متفق على سلبيته، بل أقصد العموميات التي يحلو للبعض ألا يتحدث إلا فيها، **فقد تجد خطيبا يزعق ويصول ويجول وهو يكلمك عن "تقوى الله"، ثم في نهاية المطاف لا تجده كلمك في شيء**..

ومثل ذلك تماما كما تريد أن تغتسل من جنابة فيأتي أحدهم بذنوب من ماء ويقذفه في الهواء فوقك، فلا هو أبقى لك ماءك تغسل به عضوا عضوا، ولا هو طهرك من جنابة..

نعم، قد تحتاج هذه العمومية مرة كل فترة لتكسر ملل الترتيب والروتين عند المستمعين، وعند نفسك قبلهم، لكن احذر أن تستسهل فيكون هذا ديدنك أو حظك الدائم من دعوتك..

وإن اضطررت للعمومية مرة، لأي سبب، فلتَجبُر تلك العمومية بالإسقاطات الواقعية التي تنتشل الناس من حيرتهم وتضع أيديهم على شيء عملي يستطيعون الخروج به من خطبتك.

**4- مرتبة الأفكار (مقنعة للعقول نافذة للقلوب) :**

قد تتصف الخطبة بوحدة الموضوع لكنها لا تنفذ لقلوب المستمعين ولا تقنع عقولهم، ناهيك عن أن تشبع نهمهم الوجداني، لخلل في ترتيب عناصرها ترتيبا منطقيا، فالأفكار كالبناء لا يستقيم لك الأعلى منه حتى تؤسس لما هو دونه..

وقد تُلقي نتيجة دون تمهيد أو مقدمات منطقية فيلتقطها عقل المستمع مفندا منكرا، فيتربى في وجدانه رفض لا إرادي للفكرة، ويكون تخلية الوجدان من هذا الرفض صعبا صعوبة بالغة..

في الوقت الذي يستطيع فيه الداعية أن يمهد ويقدم بمسَلّمات تحصر عقل السامع لأن يستنتج بنفسه ما تريده من النتائج دون حتى أن تصرح به، ويكون مستريحا ومقتنعا، بل ربما مبهورا بما ألقيتَ إليه من جديد الأفكار.

**والخطبة الطبيعية تتكون من :**

**أ) مقدمة وتمهيد ذوَيْ علاقة بموضوعها :**

- دعك من المقدمات المحفوظة المبنية على السجع المتكلف فغالبا ما تكون مبتذلة قد يملها المستمعون لكثرة ما تتردد عليهم.. وينبغي ألا يزيد وقت المقدمة عن عشرة في المائة (10٪) من وقت الخطبة، فالخطبة عشرون دقيقة مقدمتها على الأكثر دقيقتان..

"ويستهجن في الافتتاح أمور: الأول الإسهاب والاستطالة بما يمل السامع منه مادام في الإيجاز وفاء بالغرض. الثاني أن يكون مبتذلا مشاعا يصلح لكل خطبة. الثالث ألا يوافق الموضوع فيكون قلقا غير ملتئم معه[1]".

1 - فن الخطابة، الشيخ علي محفوظ، ص 52 .

– كما ينبغي أن تحسن المدخل لعقول السامعين في أثناء مقدمتك وتمهيدك، فتنفذ للعقول وتتلطف.. **تلطف، لا يشعرن أحد بأنك تحاول فتح عقله عنوة**؛ فذلك أعمق أثرا وأرجى للقناعة والقبول..

**ب) صلب الموضوع مقسما لعناصر:**

ويستحسن كما قدمتُ قبل ذلك أن تكون العناصر في ذهنك أنت لا تصرح بها، إلا أن تقصد قصدا؛ لجذب انتباه السامعين وجعلهم في أقصى درجات التركيز لغرابة أو لأهمية ما ستلقي عليهم..

**ج) النتيجة والاستنباط، ثم الواجب العملي..**

**وقد يستحسن البعض أن يبدأ بطرح النتيجة ثم يقدم لها الأدلة، وذلك مقبول في بعض الموضوعات التي تتسم بالغرابة أو الغموض الذي يحتاج لتصريح وتدليل واضح، ولا ينفع معها طريقة التلطف إلى العقول، وربما لأهمية الموضوع ولا يريد المتحدث الاعتماد على ذكاء المستمعين فقط، فهناك موضوعات الإخلال بأي جزء يسير منها يؤدي لخلل في فهمها على الجملة، وهو لا يريد أن يغامر أو يسيء أحد فهم ما يطرحه من الأفكار.**

**5- موثقة المعلومات:**

يجب أن تكون معلوماتك موثقة أيا كان نوعها، فإن كانت قرآنا وثقته بالحفظ الجيد لمحل الشاهد الذي تطرحه مع تخريج الآية، فتعرف مثلا أنها آية من سورة كذا..

أما أن تقرأ الآية مع الخطأ أو اللحن فيها أو عدم معرفة موضعها من القرآن فضُرّ هذا أكبر من نفعه، فلا يُتساهل مطلقا في حفظ الآيات محل الشاهد وإتقان تلاوتها، وإلا فما معنى كونك خطيبا تعلم الناس الدين؟!..

وإن كانت المعلومة حديثا نبويا وجب حفظه أيضا وتخريجه، وقد يُتساهل لحد ما في حفظ الحديث مع خطيب مبتدئ، لكن المتمرس لا يليق به هذا، **وكذلك ينبغي مراجعة ألفاظ الحديث لغويا للتأكد من ضبطها وصحة نطقها، وأما تخريج الحديث للوقوف على مدى صحته وجواز الاستدلال به فأمر واجب**..

ولا ينبغي أبدا أن تطلق أحاديث سمعتها من الناس ولا تدري صحة نسبتها للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من عدمه، فكيف يطمئن قلبك أن تنسب قولا للرسول صلى الله عليه وسلم لم تتحقق من صحة نسبته إليه ثم ترجو القبول؟! وماذا لو قام لك أحد من الجماهير فقال "يا شيخ هذا حديث ضعيف أو موضوع" مثلا؟!

وإن كانت معلوماتك فقهية فكلف نفسك عناء مراجعتها في كتاب متخصص، ولو مختصرا، حتى لا تقع فريسة لمعلومات مشوشة في ذهنك ربما قرأتها منذ سنين..

وكذلك أيضا إن كانت معلومتك علمية فيجب أن توثق المعلومة بإسنادها للمتخصصين من أهل ذاك العلم.. وإن كنت تنقل حدثا أو خبرا فيجب أن تستوثق من صحته وإلا سقطت فريسة للشائعات التي ربما تثير الناس وتخلق الفتن والمشكلات دون داع، فلا تكن أداة للمغرضين الإفسادَ وإهلاكَ الحرث والنسل..

**6- مرتبطة بالواقع المجتمعي:**

في كثير من الأحيان تكون الخطبة رائعة ومتميزة في مادتها العلمية، أعني بمقاييس الخطبة الأكاديمية المجردة هي خطبة مثالية، لكن ينقصها شيء واحد وهو الواقعية والمناسبة، ما يأتي عليها من القواعد فينسفها نسفها، فلا ترى لها فائدة ولا تحقق غرضا، بل ربما أثارت ردود أفعال سيئة لدى الجماهير؛ ما يؤدي لهدم الفكرة التي كنت ترجوها ويخلق انطباعا سلبيا عنك بأنك في واد والدنيا والناس في واد آخر، لا تشعر بهم ولا تعيش عيشهم، والبلاغة كما نعلم مراعاة مقتضى الحال..

وهذا السلوك من الداعية أظنه نتاج انغلاق وانطواء اجتماعي أو فكري.. انغلاق اجتماعي يؤدي للانعزال عن واقع الناس والحياة، أو انغلاق فكري يجعلك حبيس فكرك وعقلك أنت وحدك..

ولا يكفي اقتناعك الشخصي بواقعية الموضوع، فإذا لم تقنع الجماهير بحاجتهم إليه ففي الأمر قصور، إما في حقيقة قناعتك وإما في طريقة عرضك، وإياك ثم إياك أن ترمي الناس بسوء الفهم وقلة الوعي دون أن تراجع نفسك في صحة تقديرك للموضوع أو في صحة مدخلك للعقول..

أذكر مرة أحد الخطباء كان يخطب في قرية مصرية عتيقة، وكان أهم ما يميز تلك القرية التعليم الأزهري الذي أدمنه أهل هذه القرية، فقال صاحبنا: [...أما بعد فأحدثكم اليوم عن "الرد على منكري البعث"...] ثم أخذ صاحبنا يسوق الحجج والبراهين في الرد على شبهات قديمة أثارها المشركون أمام النبي صلى الله عليه وسلم..

في الحقيقة كانت الخطبة رائعة وإلقاؤه جيدا، لكن الناس فوجئت بعد الصلاة برجل عامي بسيط قام له وقال: "يا شيخ هو أنت بتخطب في كفار قريش، عايزينك تكلمنا عن اللي بيؤذي جاره في البيت والغيط"؛ فتهامس الناس فيما بينهم، فمن قائل "إحنا مالنا ومال منكري البعث؟!" ومن قائل "بعث إيه؟! هو الشيخ ميعرفش أن الإسلام دخل مصر؟!" ومن قائل "ياعم دا ماله ومالنا؟! دا لو بيشقى زينا كان عرف يكلمنا في حاجة مفيدة"..

وأظن والله أعلم أن الأمر كان سوء تقدير فقط من الشيخ في طريقة المعالجة، والصياغة، وتوجيه الخطاب، وإلا فإن المعنى الذي تكلم فيه يحتاج المسلم مذاكرته بين الحين والحين ليوقظ في قلبه الإيمان واليقين المطلق في قدرة الله الخالق المحيي المميت سبحانه وتعالى، وليردع نفسه عن غيها..

وقد كان يمكنه أن يتلطف إلى عقولهم بطريقة أخرى تقنعهم بواقعية ما يطرحه من أفكار، فيكون مدخله مثلا: التعرضَ لبعض آيات القرآن بالتفسير والتحليل ويختار آيات في صلب المعنى الذي يريد، أو تذكيرَ الناس بالموت ولقاء الله وزجر النفوس عن الرذائل، أو الحديثَ عن تجليات اسم الله المحيي المميت سبحانه وتعالى، أو غيرَ ذلك.

**7- غنية بالإحساس والوجدان:**

ينبغي أن يعيش المستمع معك بكيانه ووجدانه، وإلا فلا نصيب لك في عقله ولا قلبه، ما يؤثر حتما على مدى تقبله لما تقول، ثم على مدى تأثره واستعداده لتطبيق ما تطرح من أفكار..

ومرد ذلك إليك أنت؛ فإن وعيت ما تقول وأحسست به واقتنعت بأهميته وعشته بوجدانك وطبقته على نفسك قبل أن تحدث به الناس، أظن أن ذلك أدعى للصدق في طرحك وقولك وحتى في تعبيرات وجهك وجسمك وحركات يديك..

وكن على ثقة أخي الداعية أن الناس لديهم الترمومتر الذي يقيسون به صدقك وإحساسك، وهذا يتطلب منك أن تكون لا فاهما فقط بل عاملا مجاهدا نفسك على الإخلاص والصدق مع الله سبحانه وتعالى..

كما يتطلب منك **أن تكون الخطبة نِتاجَك أنت لا نِتاجَ غيرك**، نعم قد تنقُل فكرة أو معلومة عن غيرك، ولا بأس في ذلك مطلقا فالناس يتعلم بعضهم من بعض، ولا كبير على العلم، وقد تتلقى الفكرة من صبي أو ممن هو دونك في السن والعلم والخبرة، لكنك لا تنقُلها إلا بعد أن تتقبلها أنت وتقتنع بها **وتعيش بها وتصوغها وتصبغها ببصمتك أنت** بحسب الواقع والبيئة التي تعيش فيها، وإلا ففكرتك المنقولة تلك لن تجد الصدى المرجو..

**يقول ديل كارنيجي:** "لماذا لا يفهم البعض معنى التحضير بوضوح؟ ولا كيف نقوم به بتعقل؟.. هل التحضير الصحيح هو قراءة كتاب والنقل منه؟..

الحقيقة أن النقل من الكتب ليس هو التحضير الصحيح، بل هو نوع واحد منه، فالقراءة ربما تساعد، لكن إذا حاول المتحدث أخذ الكثير من أفكار أي كتاب ليوردها كما هي فستأتي خطبته هزيلة وناقصة، وربما لا يعرف الجمهور ما الذي ينقص الخطبة إلا أنه لن ينجذب إلى الخطيب[1]".

ويساعدك في نثر ونشر الإحساس العميق بين المستمعين أن تكثر من الشواهد الشرعية –قرآنا وحديثا– فلتلك النصوص روح تسري في سامعيها لا تستطيع أن تعوضها مهما كنت بليغا فصيحا، والخطبة بدون تلك الشواهد جافة خشنة لا روح فيها مهما حاولت ترطيبها بجميل الأفكار وعذب العبارات، كما يمكنك الاستعانة ببعض شعر الرقائق والزهد فلها أثر قوي على النفوس وصدق الرسول الكريم حين قال "إن من البيان لسحرا[2]"..

1 – فن الخطابة والتأثير، ديل كارنيجي، ص 24 .

2 – أخرجه البخاري، عن عبدالله بن عمر .

**8- مرسلة العبارات:**

"فالمتحدث اللبق هو الذي يتسم كلامه بالترتيل والترسيل، فضلاً عن التؤدة والتمهل، ليفهم متحدثُه مقصودَه من الكلام... وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يزين كلامه ويترسل فيه ليترك فرصة لمستمعه للتفكر والتدبر... وقد أكد العلم الحديث أن الإنسان لا يمكنه التركيز واستيعاب الكلام السريع الذي لا يتخلله السكون والتؤدة والتمهل..

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: "إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم، بل كان يحدث حديثاً لو عده العاد لأحصاه[1] " لذلك استوعب الصحابة كلام النبي صلى الله عليه وسلم وحفظوه[2]"..

**9- واجبات عملية محددة قابلة للتطبيق:**

مما ينبغي ألا يهمل في الخطبة أو الدرس أن توجد إجابة للسؤال: "وماذا بعد.. ما المطلوب منا عمله الآن؟"..

فقد يثير المتحدث موضوعا مهما أو ظاهرة معينة أو قضية عامة، يرصد مظاهرها ويحللها ويقنع الناس بأهمية التغيير فيها، ثم يتركهم حيارى لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا.. هذه المشكلة فأين الحلول المقترحة وبمَ توصينا؟!..

وبعض الدعاة لا يحسن إلا التقريع والتوبيخ فتراه أسدا هصورا في هذا الباب، وعند الحلول هو أعجز من نعامة، أو يطرح حلولا عائمة لا يستطيع هو ولا جمهور الحاضرين تحديد ملامح لطرحه عمليا..

وقد يسمعك الخطيب ما لا تحب من التقريع والتوبيخ الذي يبالغ فيه البعض لحد استثارة النفوس السوية، ويملأ الدنيا صراخا وصياحا، ثم يقول لك جملة مقتضبة في نهاية الخطبة: "وللخروج من هذه المشكلة علينا بتقوى الله والرجوع للكتاب والسنة".. ويبقيك أنت في حيرة ودهشة تضرب أخماسا في أسداس كما يقولون: "يعني أعمل إيه؟! أعمل إيييه؟!" ولا مجيب..

---

1 – أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة .

2 – من مقال منشور للشيخ محمد سلامة الغنيمي .

إن مثل هذه الطريقة تهدم ولا تبني، وإن من الفقه أن يحسن الرجل بناء الصالح كما يحسن هدم الضلالات، وعدم تقديم حلول لما يطرحه الداعية من مشكلات هو نوع من العجز نعوذ بالله تعالى منه..

وإن "تربية الأمة وتبصير أولى الأمر شأو يستبعد منه قصار الباع والهمة والفكر, ويستحيل أن يحيا فيه المتطاولون الذين يحسنون الهدم ولا يطيقون البناء"[1]..

لابد إذن أن تجهز للحلول قبل عرض المشكلة، لا أقول طبعا حلولا جَذرية، فمن المشاكل ما يحتاج جهد دولة، لكن على الأقل تجهز الحلول الخاصة بالمستمعين والتي تكون أعمالا وسلوكيات واضحة ومحددة وفي متناول أيديهم..

وإن عجزت عن هذا فلا أقل –في احترام عقولهم– من أن تطلب منهم أن يساعدوك في طرح الحلول للمشكلة، وبهذا تضمن الفاعلية في الحلول –إذ هم أصحابها– وتحول القضية من الشخصية إلى المجتمعية..

### 10- قصيرة الوقت (حوالي ثلث ساعة) :

الأصل في وقت الخطبة أن يكون قصيرا، فخير الكلام ما قل ودل، والبلاغة الإيجاز خاصة في النصيحة والوعظ فما أثقله على نفوس البشر، والحق أن عدم التطويل مبني على عدة اعتبارات:

**الأول:** أن ذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فالمتتبع لخطبه المروية عنه صلى الله عليه وسلم يجدها لا تكاد تصل الدقائق العشر، أو ربع الساعة على أقصى تقدير مع القراءة المتأنية ومراعاة أن كلامه صلى الله عليه وسلم كان فصلا وربما يكرره مرتين وثلاثا، ولستُ أنا ولا أنتَ أهدى سبيلا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعانا لـ"تقصير الخطبة وتطويل الصلاة[2] "..

---

1 – هموم داعية، ص15 .

2 هذا المعنى وارد في عدة أحاديث أخرج بعضها مسلم عن عمار بن ياسر وعن جابر بن سمرة، وحديث جابر عند مسلم وغيره .

**الثاني:** أثبتت الدراسات الحديثة أن أقصى مدة يستطيع فيها المستمع التركيز بصورة فعالة لا تتجاوز ثلث الساعة، ويحتاج بعدها لفاصل حتمي، وإلا فسيذهب مجهود المتحدث للإفهام ومجهود المستمع للفهم سدى..

**الثالث:** أن طبيعة البشر سرعة الملل، خاصة في شأن الدين والعبادة والالتزام، ولا يحتجّنّ أحد بأن الناس ربما يجلسون أمام مباراة لكرة القدم ساعة ونصفا لا يملون فليتعودوا ذلك في درس الدين والعلم..

وتلك حجة غير معتبرة شرعا، بل على العكس فالشرع اعتبر طاقة الناس الفطرية فيما يتعلق بأمر الدين والعبادة والعلم، أفلم يقل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم "حفت الجنة بالمكاره[1] " وقال: "مه، عليكم من الأعمال ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا[2]"..

**وهذا اعتبار صريح لطبيعة الطاقة البشرية في شأن العبادة، فكيف يأتي أحدنا وينكر على الناس نفورهم من طول الخطبة؟!..** هذا طبيعي جدا، والأصل أن يراعيه المتحدث لا أن يجعله مادة للنقد، وإن كان لابد من الإطالة مرة لغرض ما فليستحث فيهم الصبر والتحمل من أجل الله دون تقريع أو توبيخ أو لوم..

ولا ينبغي حمل الجماهير على ما يطيقه الخاصة من الصبورين على العلم والعبادة، فخطبة الجمعة للجميع، وينبغي ألا نهمل الواقع الأليم الذي نعيشه، فهناك من لا يدخل المسجد إلا في الجمعة.. ثم إن الرسول الكريم راعى هذا مع الصحابة فكيف بزماننا؟!

ويستطيع المتحدث -إن لم يحط بفكرته في الخطبة- أن يقسمها على خطبتين، أو أن يستكمل فكرته في درس بعد الصلاة، فليس في الدرس ما في الخطبة من الوجوبية والقيود على الجماهير، وتلك وصفة مجربة، ومن فوائدها أن تقيس مدى استجابة الناس لفكرك وأطروحاتك، وإقبالهم عليك..

لذا كله أرى أن الخطبة المثالية لا تتجاوز ثلث الساعة على أقصى تقدير، ثم استراحة، ثم خطبة ثانية فيها تلخيص وتأكيد للفكرة ودعاء، ثم الصلاة، بإجمالي من الوقت ثلاثون دقيقة..

---

1 – رواه أحمد والترمذي وابن حبان وغيرهم عن أنس بن مالك .

2 – البخاري ومسلم عن عائشة .

ولو اتبعنا ما ورد في الصفة الثالثة من مواصفات الخطبة (من كون الخطبة مرتبة الأفكار) لأمكننا تقصير الخطبة لأقل من ذلك، فالتطويل غالبا –أقول غالبا، لأنه أحيانا تفرض طبيعة الموضوع التفصيل فيه بما يؤدي لحتمية أن يأخذ وقتا أطول– ما يكون مبنيا على عدم التركيز وعدم العنصرة..

أذكر مرة في بداية ممارستي الخطابة وأنا في الثانوية الأزهرية أني حضرت خطبة جمعة وكان بجواري بعض الناس المشهورين بخفة الظل، وبدأ الإمام خطبته، واستطرد في الأشعار والأنثار التي يحفظها، حتى ظننت أن الخطبة مخصصة للمدح والثناء والمناجاة، وبعد مرور حوالي ربع الساعة فوجئنا بالخطيب يقول: "أما بعد..." فنظر الرجل في جواري في ساعة كانت في يده ثم قال ممتعضا: "يانهار أسود هو كل اللي فات ده كان قبل؟! أومال بعد هيبقى قد إيه؟!" فوعيتُ الدرس من حينها..

## بعض المحاذير في الخطبة

**تجنب هذه الأمور في خطبتك ودرسك:**

**1- بداية أخي الحبيب لا تتحدث أبدا وأنت غير مستعدٍ ومراجعٍ وموثقٍ لمعلوماتك:**

فلا يليق بك أنه كلما خطر ببالك شيء قلتَه على أنه علم، لا، بل تريث، ونمِّ الفكرة في ذهنك وخمّرها جيدا واسبر غورها وابحث تفاصيلها، لعلك تدرك منها شيئا أكثر أهمية مما كنت تنويه أو لعلك تصحح خطأ مع نفسك قبل أن ينكشف منك للناس؛ فإما يقعون في فتنة، وإما تفقد رصيدا من الثقة في قلوبهم، **والثقة هي حجر الأساس الذي به يملك الداعية أزمة الناس وقلوبهم فيتبعونه راضين غير مكرهين فيستعين بذلك على تغيير صورة المجتمع للأفضل ويعالج مشكلاته بسلاسة**..

**واعلم أخي الكريم أن ليست كل خاطرة علما**، بل اطرحها على أنها "معنى خطر لك" ربما يكون صحيحا وربما يكون خطأ، وإن عورضت فتعهد بالمراجعة ولا تجادل، **فرب خطأ صغير يُظهر خواء في بناء معلوماتك يفقدك ثقة الجماهير**..

أذكر مرة ونحن في مقرأة وفيها بعض من يمارسون الدعوة، وكنا نقرأ في سورة الفتح فجئنا عند قول الله تعالى "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة..." فانبرى هذا الأخ الكريم يتحدث عن فضل الشجرة (وإلى هنا الكلام طيب)، ثم كان مما قال: انظر كيف اختار الله هذه الشجرة من دون الأماكن كلها (وبالغ في هذا)، فقال له أحد الحاضرين: ياشيخ انت مكبر الموضوع، الرسول والصحابة كانوا في صحراء وهذه الشجرة ربما تكون الوحيدة الموجودة فطبيعي أنهم يجلسون في ظلها لأن مفيش غيرها؟! فقال صاحبنا: ومين قال أن مفيش غيرها؟ طيب مافيه دار الأرقم مجتمعوش فيها ليه؟ تحت الشجرة ده مقصود، فكان رد فعل الرجل المحاور تعليقا لك أن تتخيله، فلن أذكره..

واحذر أخي أن يكون الكلام عندك شهوة.. أوَكلما اشتهيت كلمة قلتها؟!.. العاقل كلما راودته نفسه بالحديث مرات تكلم مرة.. وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عنه ابن

مسعود "كان رسول الله يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا[1]".. أوَأنت خير منه صلى الله عليه وسلم؟!..

**2- المبالغة الزائدة:**

اعتاد البعض أن يقول مثلا: "نتكلم اليوم عن أعظم خلق في الإسلام، ألا وهو خلق كذا"، ثم يأتي في الجمعة القادمة يتناول خلقا آخر فيقول: "نتكلم اليوم عن أعظم خلق في الإسلام، ألا وهو خلق كذا"، وهكذا في كل مرة، حتى تفقد كلمة أعظم معناها وأثرها.. يمكنك أن تقول: خلق مهم أو خلق من أعظم... وهكذا..

وقد يبدأ البعض حديثه بقوله: "أحدثكم اليوم حديثا لم تسمعوه من قبل" أو "حديثا لم يسبقني إليه أحد"، أو يقول: "خذ مني هذه المعلومة فلن تجدها في مكان آخر"...الخ.. وهذا لا شك يخلق نفورا في نفوس المستمعين إذ يرونك وأنت تعد نفسك في عداد الأفذاذ وهو ما لا يليق بداعية متواضع لله، بل دعهم هم يعدونك من الأفذاذ وأنت ترجع الفضل لله سبحانه وحده فلولاه ما اهتديت ولا علمت قليلا أو كثيرا ولا وفقت أن تصل لقلوب الناس..

كذلك لا تبالغ في تحريم أو تحليل، أو في مدح أو ذم، أو في تأييد أو معارضة لأمر ما، أو في أمر أو نهي...الخ، إلا أن يكون حديثك في مسلمات متفق عليها بين المسلمين من أمر الحلال والحرام..

كنت أسمع درسا لشيخ حول الكذب وأضراره، وكان للشيخ إسقاطات واقعية جيدة على أحوال للكذب ربما يتجوز فيها بعض الناس، وتحفظت على بعض الإسقاطات، لكني في النهاية أدخلتها في باب اختلاف وجهات النظر، إلا أمرا واحدا لم أستطع أن أمرره في نفسي حيث قال الشيخ: "تلاقي واحد مصدع ويقولك أنا راسي هتنكسر أو راسي هتنفجر.. هذا كذب لأن رأسه لا هتنفجر ولا هتنكسر، بل قل: رأسي تؤلمني...الخ".. وبالغ الشيخ في الوعيد لمن يفعل هذا..

---

1 – متفق عليه عن ابن مسعود

قلت: لو أن الشيخ جرب الصداع الشديد كما جربه مرضى الضغط أو السرطان مثلا لغير رأيه، أسأل الله العافية لي وله ولجميع المسلمين..

مشكلتنا أحيانا أننا نكون قليلي الخبرة أو التجربة بأمور متعددة في الحياة لم نعشها بأنفسنا أو نر تجربة قريبة نكتسب من خلالها الخبرة، ولا علاقة لهذا الأمر بسن معينة، بل ربما يكون شيخٌ كبيرٌ لا خبرة له في أمر معين..

واعلم أخي أن المبالغة قرين التعصب، فإن صارت المبالغة الزائدة ديدنك ساقك هذا لفخ التعصب الذي لا ينبغي لداعية واع يرجو إصلاح أمة، فاحذر..

**3- اعتماد مبدأ الإثارة والتهييج:**

كذلك أخي الداعية احذر وأنت تعالج أي موضوع أن تعتمد على مجرد الإثارة والتهييج لا على التنوير والتحقيق، فالإثارة قد تعجب بعضا من جمهورك خاصة المحبين لك، "كما تعجب أولئك الذين تستهويهم الجرأة في النقد أو النقض، فهناك فريق من الناس يميلون دائما للخروج على المسلّمات..

لكن ذلك لا يعجب المثقفين المستنيرين، خاصة العقليين الذين يزنون الأمور بعقولهم ولا يأخذون كل ما يقال قضية مسلمة[1]".. فاحذر أخي أن تعتمد على إثارة العواطف فقط دون سند من علم أو منطق سديد..

ومن آفات الاعتماد على العاطفة المجردة أن من يستهويهم ذلك للأسف أغلبهم وقّافون عند حدود العاطفة لا أثر لهم غالبا في عالم الفعال وتغيير الواقع، وإذا ما تعرضوا للواقع فهم هدامون أكثر منهم بنائين؛ فلا يحسنون إلا فن النقد والنقض والتجريح..

**4- أن تكون حبيس فكرك وعقلك:**

وأقصد بذلك ألا تنغلق على نفسك انغلاقا فكريا يعميك عن إدراك طبيعة المجتمع من حولك، فيكون مُنطَلَقُك في اختيار موضوعاتك ما حبست نفسك فيه من فكرك وعقلك

1 – فتاوى معاصرة، ج2 – د. يوسف القرضاوي، في إجابته عن سؤال حول رابعة العدوية .

بحيث تغفل عن حاجات المجتمع الأكثر أهمية، وربما الأكثر إلحاحا، فيتهدم بذلك سلم الأولويات في منهجك، وربما تنشغل بالفضول، وبالمفضول، وبما لا يمس حياة الناس من قريب ولا بعيد..

أذكر أني حضرت جنازة في قرية ريفية نائية، يعيش أهلها على الفطرة، وحياتهم بسيطة لا تعقيد فيها ولا تركيب، وحين وصلنا لموضع الدفن في القبور قام أحد الإخوة الدعاة ليعظ الناس في هذا المقام ويذكرهم بالله وبالدار الآخرة، وما هي إلا لحظات حتى فاجأني ما أسمع، حيث صرخ محذرا الناس وهو يقول: "أيها الناس إذا جاءكم من يقول إن القرآن مخلوق فلا تصدقوه واضربوا بكلامه عرض الحائط، أيها الناس القرآن كلام الله غير مخلوق..." ثم ترحم على إمام أهل السنة أحمد بن حنبل..

فصرت أضرب كفا بكف وأنا أجزم أن الحاضرين غالبيتهم لا يعرف أصلا معنى هذا الكلام، فهذه قضية إن لم يتعرض لها المرء بالدراسة فلن يحيط بها ولن يفهم مغزى الخلاف حولها، ثم إننا في مقبرة وعلى شفا حفرة من الآخرة، أفلم يكن الأولى تذكير الناس بلقاء الله المحيي المميت القادر القاهر المحصي المجازي الناس على أفعالهم؟!! إنه لأمر عجب..

تفكرت في الموقف قليلا فقلت: هذا الواعظُ الناسَ طالب علم لا شك، وهو محمود في هذا، لكنه للأسف انغلق على عقله وكتبه فقط فلم يلحظ حاجة المجتمع من حوله، حتى إنه لم يلحظ طبيعة أهل قريته وأنهم لن يفهموا قصده أصلا مما قال، وأن هذا أمر لا يعنيهم الآن من قريب ولا بعيد، **وكذلك لم يلحظ مناسبة اللحظة، وكم كان مناسبا أن يزجر نفوسا عصت، وقلوبا قست، وجوارح اجترحت السيئات، فيذكرها ويخوفها لقاء الله بدل هذا الصراخ في غير موضعه**..

**واعلم أخي الداعية أنك لست ملكا لنفسك فقط بل أنت ملك للمجتمع، فلا يحق لك أبدا أن تحمل الناس على ما يشغلك إن كان بعيدا عن حياتهم ومعاشهم**، إلا أن تذكرهم الله والدار الآخرة، لكن تنطلق في وعظهم مما يصلح دنياهم ويقيم دينهم..

ولا مانع في الوقت نفسه أن تضع خطة للارتقاء بهم وبمستواهم العلمي والفكري لكن تكون مدروسة وعلى أساس من التدرج والتخطيط، لا هكذا "أينما الريح تُميلْها تمِل[1]"..

**5- المباشرة الفجة:**

كما أسلفت في غير موضع أؤكد هنا: تجنب المباشرة المستفزة في طرح عنوان خطبتك، واحترم عقول سامعيك، ودع الناس تعمل فكرها في الاستنباط والاهتداء إلى قصدك، تسلل، تلطف، فتصل وتخترق الحواجز برفق دون هزات عنيفة، إلا أن تقصد المباشرة قصدا لغرض بلاغي في نفسك..

على أن هناك بعض الموضوعات ينبغي فيها ذكر العنوان والعناصر في البداية ليستعد الجمهور للتلقي، لكن ذلك في نظري مرهون بـ: كون الموضوع "معلوماتي أكاديمي" كدروس الفقه مثلا، أو كونه مثيرا غريبا على الجماهير كدروس التنمية الذاتية وتصحيح طرق التفكير والحكم على الأمور، أو كون الموضوع متعدد العناصر بصورة قد يتوه معها المستمع إن لم تحدد له معالم هادية يعين بها ذاكرته على التركيز والفهم والحفظ..

فليس دائما ذكر العنوان أو العناصر معيبا، بل المعيب المباشرة الفجة في طرح العنوان، وإليك **هذا المثل:**

في بعض صلوات الجمعة بعدما أنهى المتحدث مقدمة خطبته التي كانت طويلة ولا علاقة لها البتة بما صدمنا به بعد ذلك، قال بالنص: "أما بعد، فأحدثكم اليوم عن الحث على التفكر في خلق الله".. يا الله، تحدثنا عن الحث على التفكر؟!.. أما كان يكفيك أن تقول أحدثكم عن التفكر في خلق الله ونحن بدورنا سنفهم أنك تحثنا على ذلك، ناهيك عن أن تنفذ إلى موضوعك دون تصريح أصلا ونحن بالتأكيد سنفهم أنك تحدثنا عن التفكر في خلق الله وتحثنا عليه لما فيه من الفضل وما له من الأثر؟!!..

---

1 – صعدة نابتة في حائر ** أينما الريح تميلها تمل – بيت من قصيدة لكعب بن جعيل، وهو من الشعراء المخضرمين .

إن مثل هذه الموضوعات المشهورة أتوقع أن يفطن إليها الطفل البطيء الفهم بمجرد ذكرك حديثا نبويا واحدا مما أعددت، فلا داعي إذن لهذه الفجاجة..

**6- الخلاف الفكري والسياسي:**

الخطبة تجريد للحق ودعوة الصدق، وبيان لصحيح الدين، وهداية للحائرين، ومرجع لكل المسلمين، **فينبغي للداعية أن يكون قبلة لكل المسلمين، يؤمه العامي والمتخصص، اللماح حسن الفهم وعريض الوساد، يحتكم إليه أهل الأفكار التي قد تبدو متباينة فيجمعهم على كلمة سواء، ويستوعب الجميع بلا استثناء**..

فاحذر أخي أن تميل بوعظك وخطبتك إلى جهة، إلا أن يكون فرقانا بين حق محض وباطل محض (كأن تتعرض مثلا لدحض العقائد الباطلة المبنية على شرك بالله، أو أن تتعرض لمعلومات تاريخية باطلة كمسألة قتل المسيح عليه السلام وصلبه، فهي أمور لا تقبل المداهنة ولا الحياد)..

أما في الحياة العامة للمسلمين فاحذر أن تساند فريقا على فريق ماداما مسلمَين، إلا أن تكون فئة باغية فينبغي ردها وجدالها حتى تفيء إلى أمر الله.. وليكن دأبك الحق وقولة الحق وشهادة الصدق لا تخاف في الله لومة لائم..

**وإن حدث وكان لابد من توضيح أمر ما، تخشى على الناس منه فتنة، وكان يتبناه فريق معين أو أصحاب فكر معين، فلتبين دون تجريح أو تلميح بازدراء، ناهيك عن أن تتخذ موقفا معاديا أو تطلقَ في خصومة، فأنت مرجع الناس في الفتنة وملاذهم في الظلمة، ينقادون لطريقك ويستنيرون بفتواك، فلا تكن أبدا طرفا في إشعال فتنة مهما حاول المغرضون استدراجك إليها وحملك عليها**..

**7- الخلاف الفقهي:**

"إنني -فيما بلوت- رأيت الخلاف الفقهي يتحول إلى عناد شخصي, ثم إلى عداء ماحق للدين والدنيا, فكيف إذا تصور البعض أن الأمر ليس خلافا في الفروع ولكنه خلاف في الأصول؟.. المصيبة تكون أدهى وأمر[1]!"..

1 - هموم داعية، ص 14.

فالداعية الحاذق لا يتعرض لأمور تثير الجدل والفرقة أكثر مما تسوق الناس إلى الله وتذكرهم بلقائه، ناهيك أن يتعمد إحياءها وإذكاء جذوتها..

وعلى الداعية أن يكون عنده من اللباقة والفطنة ما يحذر به الوقع في مثل هذه الفخاخ..

وعليه أيضا أن يجتهد في بيان وجه الحق للناس في أي مسألة دون دخول في جدالات عقيمة لا تسمن ولا تغني من جوع، وللحكمة هنا دور لا يخفى..

**8- اللوازم الكلامية والحركية:**

ينبغي للداعية –خاصة في أثناء موعظته– أن يرقب كل كلمة تخرج منه وكل حركة تصدر عنه، ويرقب نبرات صوته ويرقب تعبيرات وجهه؛ فهذه أمور لا يستهان بها في تحقيق مضمون وهدف الخطبة أو الدرس..

قد تجد **بعض الدعاة يلتزم كلمة أو جملة معينة للربط بين عناصر خطبته، بغض النظر عن مناسبة هذه الجملة لما يتحدث فيه** وهل لها معنى في وسط ما يقول أم لا، ولينتقل من عنصر إلى آخر يقول مثلا: "إلا أننا لو نظرنا..." أو يقول: "صلوا على رسول الله..." أو يقول: "بعدما تصلون على النبي..." أو يقول: "وهكذا نجد أن..." أو يقول: "إذن أيها الموحدون"، أو يربط بكلمة: "لكن..." أو "غير أنه..."... الخ.

وكذلك قد يلتزم البعض حركة معينة بيده دون أي رصد لعلاقة هذه الحركة بما يقول من كلام ومدى توافقها مع المعاني، مثل من يشيح بيده دائما من أعلى لأسفل باسطا كفه أو قابضها.. وهناك حركات لا علاقة لها بالتعبير لكنها لازمة للمتحدث، فتراه كل كم لحظة يضع يده على عمامته، أو يرجع طاقيته للخلف ثم يعيدها، أو يضع أطراف الشال على كتفيه ثم يعيدها، أو يحك وجهه أو لحيته أو بطنه، أو يقبض لحيته نازلا بقبضته للأسفل، أو يضرب بيده في عمود أو حوائط المنبر، وهكذا..

وغالبا ما تكون هذه اللوازم محط تندر من بعض الجمهور، وهو ما قد يؤدي لسقوط بعض الهيبة في نفوس المستمعين، فلنحاول تجنب هذا قدر المستطاع.

**9- توتر النبر والتعبيرات الجسدية المخلة:**

قد تَعجب من نبرات الصوت عند بعض الخطباء، فتراه يرتفع بنبرته إلى أعلى طبقاته في جملة أو كلمة عادية لا تستدعي ذلك كله، وتتساءل في نفسك: "هو بيزعق ليه؟!" وقد ينخفض بنبرته في موضع تتوقع فيه علو الصوت، أو قد تراه يلزم نبرة واحدة لا يغيرها طول خطبته لا يراعي معنى ما يتحدث فيه..

وتمنيت لو يتاح أن أودع في الكتاب تسجيلا صوتيا لشذوذ النبرات عند البعض، لكن حسبي أن تتخيل معي أخي الكريم ثم تراقب بعد ذلك لتضبط هذه المسألة إن وجدت بها خللا في نفسك.

كما أن بعض تعبيرات الوجه أحيانا تكون مخلة بمعنى الكلام بما يؤدي لعدم قناعة السامع بما تقول.. قد ترى داعية من طبيعته دوام البسمة، فتراه يتحدث عن النار مثلا وهو لا يتخلى عن بسمته تلك، بل ربما ازداد اتساع فمه حتى تبدو نواجذه، متجاهلا أو غافلا عن المعنى الذي يطرحه وهو ما ينبغي أن يتقضب معه وجهه ويبدو عليه الشعور بالخوف والقلق تجاهه..

وهذا من سنة النبي الحبيب صلى الله عليه وسلم، فقد أخرج الحاكم في المستدرك عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ وَعَلا صَوْتُهُ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُول: "صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ[1] ".

**10- التشهير والتجريح:**

تجنب تماما تجريح الهيئات أو المذاهب أو الأشخاص أو المخالف لك في الرأي، مهما كانت الدوافع لذلك، فلا تجعل خلاف الرأي أو الفكر، أو الخلاف في حكم شرعي، سبيلا للنيل من أشخاص أو هيئات، بل ناقش الفكرة مجردة، فـ"المسلم من سلم المسلمون من لسانه

1 – أخرجه الحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

ويده[1]"، ولو كانوا عصاة، إلا أن ينصح بالحسنى أو أن يكون مخولا بإقامة حد شرعي، لا يعدو هذا إلا جاهل بدينه مريض قلبه، فاحذر وسل الله العافية..

حتى لو كان موضوعك يعرض للمختلفين في الدين فلا وجه أبدا للتجريح والتنقيص الشخصي، بل ناقش الرأي والمعتقد نقاشا علميا ملتزما أدب الحوار والدعوة إلى الله بالحسنى، وشعارك دائما قول الله تعالى ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ ﴾ العنكبوت: ٤٦.

1 – متفق عليه عن عبدالله بن عمرو .